

المجلد 04 Vol 04 العدد 01 Num 01	حفريات المعرفة Hafriyat Al- marefa	Issn : 2830-912X جوان 2024
--	---	--

تمثيلات قضايا الأمة في الرواية العربية المعاصرة:

بين الوعي السردى والتحول التاريخي

Representations of the Nation's Issues in the Contemporary Arabic Novel:
Between Narrative Consciousness and Historical Transformation

كنتاوي محمد

Kentaoui Mohammed

kantmed2301@univ-adrar.edu.dz

جامعة أحمد دراية (أدرار) - الجزائر

Ahmed Draia University (Adrar) - Algeria

عطية نسرين

Attia Nesrine

nesrineat496@gmail.com

جامعة تمنغست - الجزائر

University of Tamanrasset - Algeria

ملخص:

تُعَدُّ الرواية العربية المعاصرة فضاءً حيويًا لاستنطاق قضايا الأمة الكبرى، حيث تتجاوز مهمتها السردية لتصبح فعلاً نقدياً وتاريخياً بحد ذاته. يبرز العنوان أهمية العالقة الجدلية بين "الوعي السردى" و"التحول التاريخي" في تشكيل هذه التمثيلات. فالرواية ال تكتفي بتسجيل الأحداث التاريخية كوقائع جامدة، بل توظف وعيها السردى لإعادة صياغة هذه الأحداث من منظور ذاتي وإنساني. هذا الوعي يمنح السرد القدرة على تفكيك السرديات الرسمية

المهيمنة، واستكشاف الهوامش والمسكوت عنه، وتقديم روايات بديلة عن التاريخ تُعنى بتجربة الفرد والذاكرة الجمعية. إنها أداة لإنشاء سردية موازية للتاريخ الرسمي، تسلط الضوء على تداعيات التحولات الكبرى مثل الاستعمار، وإخفاقات ما بعد الاستقلال، وفقدان الهوية، والصدام مع الحداثة.

وفي المقابل، فإن "التحول التاريخي" يوفر المادة الخام لهذا الوعي السردية، حيث يمثل القضايا المصرية التي تشغل الوعي العربي، من الصراع على الهوية إلى إشكالية التجزئة. الرواية تُجسّد هذه التحولات على مستوى الوقائع السياسية فحسب، بل على مستوى أثرها العميق في النفسية الفردية والاجتماعية. إنها تكشف عن التوتر بين التراث والمعاصرة، وبين الفرد والجماعة، وبين الماضي والحاضر. هذا التفاعل الديناميكي بين الوعي السردية والتحولات التاريخية يجعل الرواية العربية أداة معرفية بالغة الأهمية.

الكلمات المفتاحية: الرواية العربية المعاصرة، قضايا الأمة، الوعي السردية، التحول التاريخي، الهوية.

Abstract:

The contemporary Arabic novel serves as a vital space for interrogating the major issues of the nation, as its narrative mission transcends merely becoming a critical and historical act in itself. The title highlights the importance of the dialectical relationship between "narrative consciousness" and "historical transformation" in shaping these representations. The novel does not just record historical events as static facts; rather, it employs its narrative consciousness to reformulate these events from a subjective and human perspective. This

consciousness gives the narrative the ability to deconstruct dominant official narratives, explore the margins and the unspoken, and provide alternative accounts of history concerned with individual experience and collective memory. It is a tool for creating a narrative parallel to official history, shedding light on the repercussions of major transformations such as colonialism, post-independence failures, loss of identity, and the clash with modernity.

Conversely, "historical transformation" provides the raw material for this narrative consciousness, representing the fateful issues that occupy the Arab mind, from the struggle over identity to the problem of fragmentation. The novel embodies these transformations not only at the level of political facts but also at the level of their deep impact on individual and social psychology. It reveals the tension between heritage and contemporaneity, between the individual and the group, and between the past and the present. This dynamic interaction between narrative consciousness and historical transformations makes the Arabic novel a highly important cognitive tool.

Keywords: Contemporary Arabic novel, Nation's issues, Narrative consciousness, Historical transformation, Identity.

تُعدُّ الرواية العربية المعاصرة من أبرز أجناس الأدبية التي شَكلت فضاءً للتفكير في قضايا الأمة وتحولاتها التاريخية والاجتماعية. فهي ليست مجرد حكاية تُروى أو نصٍّ سردي ينتمي إلى حقل الأدب، بل هي - كما يصفها الدارسون - أنها جهاز معرفي يتقاطع فيه التاريخي بالاجتماعي بالرمزي، بما يمنحها طاقة تأويلية تتجاوز حدود السرد التقليدي. ومن هنا، باتت الرواية في العالم العربي تُسجّل حضورها بوصفها مرآة للوعي الجمعي، وأداة لتمثيل التحولات التي عرفتها الأمة في سياقاتها السياسية والفكرية والوجودية.

لقد ارتبطت نشأة الرواية العربية، وتطورها، ارتباطاً وثيقاً بمسار النهضة العربية وبالسؤال الكبير التي واجهتها الأمة: سؤال الهوية والانتماء، سؤال الحرية والتحرر من الاستعمار والاستبداد، وسؤال العدالة الاجتماعية. وتكفي الإشارة إلى أن السرد العربي الحديث منذ منتصف القرن العشرين انخرط في مساءلة الذات والآخر، حيث تحولت الرواية إلى مساحة جدل بين الفرد والجماعة، بين الماضي والراهن، وبين الذاكرة والواقع. ويؤكد سعيد يقطين في هذا السياق أن الرواية ليست فناً للمتعة الجمالية وحسب، وإنما هي أيضاً خطاب يرصد تحولات المجتمع ويفكك أزماته.

كما أن التحولات التاريخية العاصفة التي شهدتها العالم العربي، من النكبة إلى النكسة، ومن الحروب الأهلية إلى الثورات المعاصرة، جعلت الرواية فضاءً للكشف والتأويل. فهي تلتقط التفاصيل اليومية، لكنها في الوقت ذاته تستبطن الهم الجماعي وتعكس جدلية العالقة بين السرد والواقع. وفي هذا الأفق يرى فيصل دراج أن الرواية العربية لم تعد انعكاساً بسيطاً للواقع، بل أصبحت إنتاجاً معرفياً يسائل الوجود ويعيد بناء المعنى.

بناءً على ما سبق، تنطلق هذه المداخلة من إشكالية مركزية مفادها: كيف مثّلت الرواية العربية المعاصرة قضايا الأمة في وعيها السردية، وكيف عكست تحولات التاريخ والمجتمع العربي؟ وننتفع من هذه الإشكالية أسئلة إجرائية: ما هي أبرز القضايا التي حملتها الرواية العربية في العقود

الأنجليزية؟ و بأي آليات سردية عب ر الروائيون عن هذه القضايا؟ و كيف تفاعلت الرواية مع التحولات التاريخية الكبرى التي عرفها العالم العربي؟

تهدف هذه المداخلة إلى:

- الكشف عن تمثيلات قضايا الأمة في الرواية العربية المعاصرة.
- تحليل آليات الوعي السردية في مقارنة هذه القضايا.
- إبراز أثر التحولات التاريخية والاجتماعية في صياغة النصوص الروائية.
- الإسهام في إضاءة العالقة الجدلية بين الرواية والواقع العربي.

أ- الرواية العربية وتمثيل قضايا الأمة:

يش كل سؤال الهوية أحد أكثر القضايا إلحاحا في الرواية العربية، إذ يعكس ص ارعا متواصل بين الماضي والحاضر، وبين الخصوصية الثقافية وضغط العولمة. وتكشف العديد من النصوص الروائية عن مأزق الفرد العربي وهو يحاول استعادة ذاته في مواجهة الآخر. يرى محمد ب ارده أن "الرواية العربية الحديثة جعلت من أزمة الهوية بؤرة مركزية، حيث تُحاور الذات صورتها في مرآة الآخر، وتعيد النظر في مفهوم النتماء الذي لم يعد مطلقا أو ثابتا"1 في هذا السياق، نجد أن أعمال مثل روايات عبد الرحمن منيف (خماسية مدن الملح) تقدم صورة العربي الممزق بين حداثة وافدة بال جذور وتقاليد تُستنزف أمام زحف النفط والعم ارن. كما تعكس روايات إلياس خوري (باب الشمس) التوتر بين فقدان المكان ومحاولة إعادة كتابته سرديا، بوصف الهوية فعال متجددا ال يُختزل في جغ ارفيا ثابتة.

وهكذا تتحول الرواية إلى مختبر لتفكيك صور النتماء المتعددة، انتماء إلى الأرض، إلى الجماعة، أو حتى إلى ذاكرة تُعاد صياغتها باسم ارر.

إن الرواية العربية ليست غريبة عن الأسئلة الكبرى المتعلقة بالحرية، فهي تعكس دائما ص ارع الفرد مع السلطة السياسية والاجتماعية، وتجعل من الحكاية وسيلة للتمرد الرمزي. يؤكد

جورج ط ارييشي أن "الرواية العربية الحديثة، بقدر ما تعكس أزمة الحرية في المجتمع، تكشف أيضاً عن البنية السلطوية التي تُنتج الستالب وتقمع الفرد"2

من هذا المنظور، نلاحظ في أعمال صنع هلال إبراهيم، مثل اللجنة، أن السرد نفسه يصبح لعبة مراوغة للرقابة والسلطة، حيث يوظف الكاتب الغربة والفانتازيا لتعريف قمع الدولة. كما أن روايات حنا مينه تستحضر صراع ألف ارد مع القيود الاجتماعية في مواجهة سلطة البحر والمجتمع معا. إذن، الحرية ليست قيمة مضافة فحسب، بل هي رهان وجودي وجمالي يختبر فيه السرد قدرته على مساءلة الأطر السلطوية.

كذلك بالنسبة لقضية المقاومة في الرواية العربية نجد أنها ارتبطت أساساً بالتجربة الفلسطينية، لكنها اتسعت لتشمل مختلف أشكال الرفض للهيمنة والقهر الاجتماعي. يرى فيصل دراج أن "الرواية الفلسطينية صنعت من السرد ملحمة مقاومة، وجعلت من اليومي سجلاً للذاكرة الجمعية التي تحمي الأمة من محو وجودها"3

روايات مثل رجال في الشمس لغسان كنفاني تكشف مأساة الإنسان الفلسطيني، لكنها في الآن ذاته تطرح سؤالا أخلاقيا حول معنى الموت في صمت. بينما تُحول أم سعد الذاكرة الشعبية إلى خطاب مقاوم. أما على مستوى العدالة الاجتماعية، فقد قدمت روايات نجيب محفوظ، خاصة القاهرة الجديدة واللص والكلاب، صورة عميقة للتكسار الإنسان الفقير أمام سلطة المال والفساد، مما جعل من الرواية سجلاً لصوت المهمشين. وبذلك، تُمثل الرواية فضاءاً للعدالة الرمزية، حيث يعاد توزيع الذاكرة والعت ارف بالمهمشين والمنفيين.

الهجرة والمنفى من أهم القضايا التي ألهقت الرواية العربية في العقود الأخيرة، إذ ارتبطت بالتحولات التاريخية الكبرى (الحروب، الاحتلال، النهيار الاقتصادي). يشير عبد هلال إبراهيم إلى أن "الرواية العربية في المنفى أعادت إنتاج صورة الذات وهي تتأرجح بين جغرافيا الوطن وفضاء الآخر، بين الحنين إلى الماضي ورغبة الاندماج في الحاضر"4.

روايات الطيب صالح، مثل موسم الهجرة إلى الشمال، تكشف التوتر الوجودي بين ثقافتين، حيث يعيش البطل حالة انشطار بين إرثه الثقافي ومجتمع الاستعمار. بينما تعكس روايات أمين معلوف (الهويات القاتلة) المأزق نفسه، وإن بلغة فكرية، في استحالة الفصل بين الهوية والانفتاح على الآخر. أما الرواية الجزائرية المعاصرة فقد عالجت موضوع الهجرة بشكل بارز، كما في أعمال واسيني الأعرج (البيت الأندلسي) التي تُظهر كيف يُصبح المنفى مسرحاً لصراع الذاكرة مع الحاضر.

بهذا، يتحول المنفى من مجرد جغرافيا إلى تجربة سردية تعيد تعريف الذات العربية في عالقتها بالعالم.

ب- الوعي السردى في معالجة القضايا:

1. البنية السردية وتوظيف الرمزية:

البنية السردية في الرواية العربية المعاصرة لم تعد تُبنى على خطية الحكاية أو التسلسل الكلاسيكي، بل باتت أكثر انفتاحاً على التجريب بوصفه أداة لإنتاج معنى جديد. يرى سعيد يقطين أن "الوعي السردى" يُقاس فقط بقدرة الروائي على الحكيم، بل بقدرة على تحويل تقنيات السرد إلى آليات للكشف وإعادة بناء الواقع⁵ فنجد أن الرمزية أصبحت أداة مركزية لتجاوز المباشر والمألوف؛ فخران غسان كنفاني في رجال في الشمس ليس مجرد فضاء روائي، بل استعارة كبرى عن الخيانة والعجز الجماعي. وكذلك، فإن صحراء عبد الرحمن منيف في مدن الملح تتحول إلى فضاء رمزي يعكس صراع السلطة والحداثة والنفط، حيث تتجلى التحولات المادية على حساب البنية الثقافية والإنسانية.

2. اللغة من أداة للتوصيل إلى فضاء الاحتجاج:

اللغة الروائية لم تعد محايدة أو شفافة، بل صارت مجالاً للتوتر والاحتجاج. فمحمد ب اردة يذهب إلى أن "الرواية العربية الحديثة خلخلت اللغة المألوفة، وأعادت إليها توترها الأول بوصفها طاقة إبداعية، ال مجرد قناة للتواصل" 6 وفي هذا السياق، نلمس عند صنع هلا إِب ارهيم انخ ارفا متعم دا عن السرد التقليدي، حيث تُصبح اللغة جافة ومباشرة أحياناً إدانة البنية السلطوية، كما في رواية اللجنة. بينما عند الطيب صالح، تمتاز الفصحى بالمحكية السودانية في موسم الهجرة إلى الشمال، لتأكيد جدلية التعدد اللغوي كصورة للتعدد الثقافي والوجودي.

اللغة هنا ليست مجرد وسيلة، بل حقل صراع بين الرسمي والهامشي، بين السلطة والذات، وبين الذاكرة والمعاصرة.

3. تعدد الأصوات وبناء الرؤية النقدية:

اعتماد تقنية البوليفونية (تعدد الأصوات) يُعد من أبرز مظاهر الوعي السردية، حيث تمنح الرواية فرصة لتمثيل التعدد الاجتماعي والفكري بدال من فرض رؤية أحادية. وهنا يثني باختين ب قوله: "تعدد الأصوات في الرواية يعكس تعددية الوعي في المجتمع، ويجعل السرد مجالاً للحوار ال للإملاء" 7

ف نجد أن روايات عبد الرحمن منيف تعطي مساحات متكافئة لشخصياتها، بحيث تصبح أصوات المعارضة والسلطة والهامش جميعها جزءاً من النسيج السردية. وفي روايات إلياس خوري، مثل باب الشمس، تتحول الذاكرة الفلسطينية إلى شبكة من الحكايات المتعددة، حيث يسرد كل فرد تجربته الخاصة، مما يخلق نصاً مفتوحاً على احتمالات متعددة للحقيقة.

4. الوعي بالتاريخ والذاكرة الجماعية:

الوعي السردى الـ يكتمل إلـ بحضوره فى سياق التاريخ والذاكرة. إذ تتحول الرواية العربية إلى فضاء إلهادة كُتابة التاريخ من وجهة نظر المهمشين، وهو ما يُميزها عن الكُتابة التاريخية التقليدية. يرى فيصل دراج أن "الرواية العربية حين تستعيد الذاكرة الـ تمارس مجرد التوثيق، بل تنتج وعيا نقديا يعيد النظر فى معنى الحاضر من خلال استحضار الماضي" 8

ويظهر هذا بوضوح فى روايات أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد) التى تُحول الجرح الفردى إلى رمز للجرح الجماعى الجـ ازئرى بعد الاستعمار، كما فى روايات جمال الغيطاني (الزيتى بركات) التى تُعيد كُتابة تاريخ القمع السلطوى عبر أدوات سردية حديثة، تجعل من الماضي مرآة للحاضر. بهذا المعنى، يتحول السرد إلى ممارسة نقدية للتاريخ، حيث يُعاد تشكيل العالقة بين الفرد والجماعة، وبين الذاكرة والواقع

ج- التحول التاريخى وأثره فى الرواية:

منذ نشأتها فى السياق العربى، ارتبطت الرواية بالتحولات الاجتماعية الكبرى، سواء فى صلتها بمشاريع النهضة أو فى مواجهتها لخيبات الاستقلال السياسى. إن "الرواية العربية لم تدخل مجال الحداثة إلـ حين تخلت عن وظيفتها الوعظية، لتصبح شاهدا على التحولات الاجتماعية والنفسية التى عاشها المجتمع العربى فى القرن العشرين" 9 وهكذا نقرأ فى الثالثة لنجيب محفوظ أثر التحولات الاجتماعية فى مصر، حيث يصبح تباين أجيال عائلة السيد أحمد عبد الجواد انعكاسا لتغير بنية المجتمع من مرحلة الاستعمار إلى بدايات النفطاح السياسى.

لم تعد الرواية العربية تكتفى بتسجيل التاريخ، بل باتت تُشتبك معه لتعيد إنتاجه من زوايا بديلة. فالرواية تُعيد رسم خـ ارئط السلطة، وتكشف عن المسكوت عنه فى السرديات. يوضح عبد هلالا إـب ارهم أن "الرواية الحديثة تُعتبر نصا مضادا للتاريخ، إذ تحفر فى مساحات الذاكرة

المطموسة، وتمنحها حضوراً رمزياً ومعرفياً" 10، فرواية (الزيني يركات) لجمال الغيطاني مثالٌ تعيد كتابة تاريخ المماليك في مصر، لكنها في الجوهر تفضح البنية القمعية أنظمة الحكم العربية الحديثة. وفي (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف، يتحول السرد إلى أداة سياسية لمساءلة واقع السجون والاستبداد، حيث يصبح التاريخ مادة حية تُعاش عبر مصائر الأبطال ال مجرد خلفية سردية.

نتعامل الرواية العربية مع محطات تاريخية فارقة مثل الاستعمار وما بعده، والحروب والهجرات. إذ نرى أن الطيب صالح في موسم الهجرة إلى الشمال ال يقدم حكاية فردية فحسب، بل يعكس التوتر التاريخي بين المركز الاستعماري والهوامش العربي، ويجعل من شخصية مصطفى سعيد استعارة للصراع الحضاري.

كما نجد عند إلياس خوري في باب الشمس أن الهجرة الفلسطينية تتحول إلى نواة للرواية، حيث تصبح الخيام ومخيمات الشتات فضاءً سردياً لإعادة كتابة الهوية الفلسطينية بوصفها مشروعاً تاريخياً مفتوحاً على الجرح والتجدد.

أما روايات أحلم مستغاني (فوضى الحواس) فتعكس تحولات الجزائر بعد الاستقلال، حيث تتقاطع الذاكرة الفردية مع التحولات السياسية الكبرى، لتظهر العالقة المأزومة بين الثورة كذاكرة والتاريخ كواقع.

إلى جانب التاريخ السياسي والاجتماعي، تسهم الرواية العربية في رصد التحولات الثقافية والنساق المضمرة. يشير كمال أبو ديب إلى أن "الرواية الحديثة تحولت إلى مختبر للثقافة، حيث تعكس البنى الالوانية للمجتمع، وتعيد إنتاج أسئلته في شكل سردي" 11 نلهم ذلك في روايات صنع هلالاً إبراهيم التي ترصد أثر النفط الاقتصادي والثقافي على الطبقات الوسطى والدنيا، كما في اللجنة وشرف. كذلك نجد أن عبد الخالق الركابي في رواياته مثل سابع أيام الخلق يستعيد التراث الشعبي والأساطير ليفكك من خلالها البنية الثقافية العراقية في مواجهة الحروب والاحتلالات .

إذا كان التاريخ الرسمي يقدم رواية المنتصر، فإن الرواية العربية الحديثة تعيد الاعتبار للهامشي والمقموع. فيصل دراج يلخص ذلك بالقول: "الرواية العربية هي رواية المغلوبين، أنها تُحاور التاريخ من موقع الخسارة، وتمنح الصوت لمن صودرت أصواتهم" 12 ، ففي رجال في الشمس لغسان كنفاني، ال يُروى التاريخ من خلال القادة والزعماء، بل عبر ثلاثة رجال بسطاء يُمثلون مأساة الفلسطينيين. وفي مدن الملح لعبد الرحمن منيف، نجد أن التاريخ النفطي لم يكتب من منظور الحكام، بل من خلال أصوات الناس البسطاء الذين فقدوا مكانهم وهويتهم وسط التحولات الجذرية.

بهذا المعنى، يمكن القول إن الرواية العربية لم تكن انعكاساً سلبياً للتحولات التاريخية، بل كانت حقاً معرفياً نقدياً يشترك مع التاريخ ليعيد صياغته، ويمنح للذاكرة الجماعية صوتاً فنياً.

د- البنية الأسلوبية والتجريب الفني:

1. تعدد الأصوات وتكسير مركزية ال اروي:

من أبرز التحولات التي عرفت الرواية العربية اعتمادها على تعدد الأصوات (البوليفونية)، حيث لم يعد ال اروي الك لي العارف يهيمن على السرد، بل صار النص يفسح المجال لشخصيات متباينة تمثل مواقف اجتماعية وثقافية مختلفة. وقد بي ن ميخائيل باختين أن "الرواية العظيمة هي التي تتيح حوارية الأصوات، بحيث يُسمع صوت المؤلف من خلال تعدد وعي الشخصيات" 13

في الرواية العربية، نلمس ذلك بوضوح عند إلياس خوري في باب الشمس حيث تتقاطع أصوات اللاجئين الفلسطينيين لتشكل فسيفساء من الحكايات، وكذلك عند عبد الرحمن منيف في مدن الملح التي تتناوب فيها أصوات المهم شين والفاعلين التاريخيين لتفكيك بنية السلطة.

2. تقنيات تيار الوعي:

اعتمدت بعض الروايات العربية على تقنية تيار الوعي إبراز التجربة الذاتية في لحظة التحول التاريخي، إذ يمتثل وعي الفرد في تدفق داخلي يكشف صراعاته النفسية والوجودية. يلاحظ عبد هلالا الغدامي أن "تقنية تيار الوعي في الرواية العربية ليست محاكاة شكلية للغرب، بل محاولة إعادة تمثيل الذات العربية في مواجهة أزمتها التاريخية" 14

يتجلى هذا بوضوح في رواية (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل) إلميل حبيبي، حيث يتداخل السرد الخارجي مع مونولوج داخلي ساخر يكشف مأساة الفلسطيني تحت الاحتلال.

3. توظيف الأسطورة والرمز:

أعادت الرواية العربية توظيف الأسطورة والرمز بوصفهما أدوات فنية للتعبير عن قضايا الأمة المعقدة، إذ يتيح الرمز تجاوز المباشرة والتقريرية. يشير صالح فضل إلى أن "الرمز والأسطورة في الرواية العربية وفار إمكانيات تعبيرية عالية، جعلت النصوص قادرة على الجمع بين التاريخي والكوني" 15.

نجد ذلك عند الطيب صالح في موسم الهجرة إلى الشمال حيث يتحول النيل إلى رمز للتاريخ والهوية، وعند جبرا إبراهيم جبرا في (البحث عن وليد مسعود)، حيث تتحول الأساطير إلى مرآة للوعي الفلسطيني الممزق.

4. كسر خطية الزمن:

لم يعد الزمن في الرواية العربية يُقدم بوصفه تسلسلًا خطيًا، بل صار يتعرض للتشظي عبر تقنية الاسترجاع والاستباق، مما يسمح بقراءة الماضي والحاضر في تداخل دائم. يرى عبد الملك

مرتاض أن "التجريب الزمني في الرواية العربية يعكس وعيا سرديا جديدا، يقوم على إعادة كتابة التاريخ بصورة غير متسلسلة، تكشف المفارقات والقطائع" 16.

يتجلى ذلك في اللجنة لصنع هلا إِب ارهيم، حيث ينهار الزمن الخطي لصالح زمن دائري يعكس عبثية السلطة، وكذلك في ذاكرة الجسد ألحلم مستغامي، حيث يتحول الاسترجاع إلى وسيلة لربط الذاكرة الفردية بالذاكرة الوطنية.

5. التداخل الجناسي:

سعت الرواية العربية إلى الانفتاح على أجناس أدبية أخرى مثل الشعر والمقالة واليوميات، مما منحها مرونة فنية في التعبير عن قضايا الأمة. ويشير شكري عياد إلى أن "التداخل الجناسي في الرواية العربية يعكس حاجة النص إلى استيعاب التعدد الثقافي والفكري في التجربة العربية" 17

نجد هذا عند سحر خليفة في (الميراث) حيث يتقاطع السرد الروائي مع الخطاب السياسي، وعند عبد الخالق الركابي في (سابع أيام الخلق) حيث يتماهى السرد مع النصوص الدينية والأسطورية.

يتضح إذن أن الرواية العربية لم تكتف بتمثيل قضايا الأمة على مستوى الموضوع، بل سعت إلى تطوير أدواتها الفنية لتكون أكثر قدرة على استيعاب تعقيد الواقع وتشظيه.

بناء على ما سبق يمكن القول تواجه الرواية العربية اليوم تحديا كبيرا يتمثل في التفاعل مع فضاء العولمة الذي أعاد تشكيل الهوية واللغة والثقافة. إذ لم تعد الرواية موجهة للقارئ المحلي فحسب، بل باتت تدخل في حوار مع القارئ العالمي. يشير سعيد يقطين إلى أن "الرواية العربية الجديدة باتت تتحرك في فضاء كوني، إذ تسعى إلى إثبات خصوصيتها الثقافية في مواجهة السرديات الكبرى للعولمة" 18 .

من هنا، أصبحت قضايا الهجرة، الغت ارب، والندماج في الآخر جزءا من البنية الدائمة للرواية المعاصرة.

لم تعد الحروب في القرن الحادي والعشرين مجرد مواجهات عسكرية، بل صارت حروبا رمزية ومعرفية وإعلامية. وهنا تتحمل الرواية العربية مسؤولية جديدة في إعادة كتابة مأساة الأمة في ظل الصراعات الطائفية والحروب الأهلية. يرى فيصل دراج أن "الرواية في زمن التمزق العربي الجديد تعيد إنتاج صورة الخراب، لكنها في الوقت نفسه تمنح القارئ أفقا لمقاومة العدمية" 19

روايات مثل (فرانكشتاين في بغداد) ألحمد سعداوي تكشف عن قدرة السرد على إعادة صياغة الواقع الممزق، عبر رموز كائنات هجينة تعكس التشظي العراقي بعد الحتلل

و مع تطور الوسائط الرقمية، دخلت الرواية في منافسة مع وسائط سردية أخرى مثل السينما، الدراما، وألعاب الفيديو. إل أن هذا التحدي فتح آفاقا جديدة للتجريب، فالرواية العربية تتجه نحو تجاوز الورق، عبر أشكال سردية رقمية تجعل القارئ شريكا في صناعة المعنى .

بعض التجارب الروائية اليوم بدأت تبني النص التفاعلي أو تسعى إلى دمج تقنيات الميئاسرد مع الوسائط الحديثة، مما يعكس مرونة هذا الجنس الأدبي.

تظل الرواية أحد أهم خزائن الذاكرة الجماعية في العالم العربي. فهي التي تحتفظ بما يحاول التاريخ الرسمي نسيانه أو تجاوزه. ويؤكد محمد برادة أن "الرهان المستقبلي للرواية العربية يكمن في قدرتها على حماية الذاكرة، وإعادة بناء وعي جماعي في مواجهة التفكك" 20

روايات الشتات، وروايات السجون، وروايات الذاكرة الوطنية هي من بين النصوص التي ستستمر في لعب دور محوري في الحفاظ على هوية الأمة.

إذا كانت الرواية قد ولدت في الأصل كجنس أدبي يشتبك مع الواقع، فإن مستقبلها في السياق العربي سيكون رهينا بقدرتها على أن تظل نصا مفتوحا على النقد والتحوالت. لقد تحولت الرواية إلى "مختبر اجتماعي" يسمح بمساءلة الذات والآخري، الماضي والمستقبل، المحلي والكوني.

يتضح من خلال ماسبق أن الرواية العربية لم تكن يوماً مجرد حكاية للتسلية، بل شكلت أداة معرفية وثقافية عكست أزمات الأمة وقضاياها الكبرى (الهوية، الحرية، المقاومة، العدالة الاجتماعية). أظهرت الرواية قدرة فائقة على استيعاب التحولات التاريخية التي مرت بها الأمة، من الاستعمار إلى الاستقلال، من الحروب إلى الهجرات. كما طورت بنيتها الفنية (تعدد الأصوات، الرمزية، تيار الوعي، كسر الزمن) لتواكب هذه التحولات وتفكك تعقيداتها.

لم يكن التجريب الفني مجرد انبهار بالشكل، بل كان ضرورة أملت الحاجة إلى التعبير عن قضايا الأمة. فالتقنيات الجديدة مكنّت الرواية من تقديم خطاب بديل يفضح التاريخ الرسمي ويمنح الصوت للمقموعين والمهمشين.

تواجه الرواية العربية اليوم تحديات العولمة، والوسائط الرقمية، والحروب الجديدة، لكنها في المقابل تمتلك قدرة على إعادة إنتاج نفسها نكطاب نقدي مفتوح على المستقبل. فهي ال تحافظ على الذاكرة الجمعية فحسب، بل تسعى أيضاً إلى بناء وعي نقدي بديل.

نستطيع القول إن الرواية العربية صارت "ديوان الأمة" الجديد، حيث جمعت بين التوثيق الجمالي والوعي النقدي، بين الحكاية والذاكرة، بين المحلي والكوني. ومن ثم، فهي أفق ال ينغلق، ورهان مفتوح لمواجهة الأسئلة الكبرى التي ستظل مطروحة أمام الأمة في حاضرها ومستقبلها.

- 1 - محمد برادة: أسئلة الرواية أسئلة النقد، شركة الرابطة، الدار البيضاء، 1996، ط1، ص. 118.
- 2 - جورج طرايبيشي: المثقفون العرب والتراث، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1991، ص. 64.

- 3 - فيصل دراج: ذاكرة المغلوبين. الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2002، ط1، ص. 95.
- 4 - عبد هلال إبراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، 1996، ط1، ص. 201.
- 5 - سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، دار توبقال للنشر، 1996، ص. 56.
- 6 - محمد برادة: أسئلة الرواية أسئلة النقد، مرجع سابق، ص. 77.
- 7 - ميخائيل باختين: جمالية الإبداع اللفظي، تر: شكير نصر الدين، دال للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، 2011، ط1، ص. 259.
- 8 - فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ط1، ص. 102.
- 9 - جورج طرايبيشي: المثقفون العرب والتراث، مرجع سابق، ص. 41.
- 10 - عبد هلال إبراهيم: المتخيل السرد، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، 1990، ط1، ص. 133.
- 11 - كمال أبو ديب: جماليات التجاور تشابك الفضاءات البداعية، دار العلم للمالين، بيروت، لبنان، تموز/ يوليو، 1997، ط1، ص. 92.
- 12 - فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ، مرجع سابق، ص. 145.
- 13 - ميخائيل باختين: جمالية الإبداع اللفظي، مرجع سابق، ص. 263.
- 14 - عبد هلال الغدادي: الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ط4، ص. 157.
- 15 - صالح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2003، ط1، ص. 211.
- 16 - عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، 1998، ص. 202.
- 17 - شكري عياد: علم الأسلوب مدخل ومبادئ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 2013، ط1، ص. 119.
- 18 - سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، مرجع سابق، ص. 67.

19 - فيصل دراج : الرواية وتأويل التاريخ، مرجع سابق، ص. 54.

20 - محمد برادة: أسئلة الرواية أسئلة النقد، مرجع سابق، ص. 121.